من أدب رمضان

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

« ...رياضة للنفس بالتجرد ، وثقافة للروح بالتأمل ؛ وتوثيق لما بين القلب والدين ؛ وتقريب لما بين الرائه والمكين ... ونفحة من نفحات السماء تغمر دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفاس الملائكة ! ... فالبيوت الباقية على العهد تغرب لله بالذكر والصدقات ، والمساجد المعمورة طول العام تصح بالوعظ والصلوات ... والمآذن العالية بالصنايح الشادية بالتسابيح ترسل في أجواء الأبد نور الله وكلمه ! »

« الأستاذ أحمد حسن الزيات »

عن ابن عمير ، قال : أصاب النبي صلى الله عليه وسلم جوعٌ يوماً ، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ، ثم قال : « ألا ربَّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة . ألا رب مكرم نفسه وهو مهين لها ! ألا رب مهين نفسه وهو مكرم لها » فانظر — عافاك الله — إلى إنسانية سيد الخلق العليا ، فهو يضرب أروع الأمثال لكي تتأسى به أمته من قبل ومن بعد — وهو الذي خُيِّر أن يكون له مثل (أحُد) ذهبا فقال : (لا يارب ، أجوع يوماً فأدعوك ، وأشبع يوماً فأحمدك !) فالسواد الذي تراه في فقره صلى الله عليه وسلم هو السواد الحي ، سواد الليل حول الروح النجمية الساطعة ، كما يقول الرافعي الخالد . وبعد فالغرض الأسمى من صوم رمضان المبارك إن هو إلا النبل المعمم على إنصاف الحيوانية ، وكسر شرة الهوى ، وكفكفة النفس من الشهوات والأهواء ، بالحرمان والمجاهدة فتتحرر الروح من ربقة الأسر في الجسد ، وتتطهر من الأدران المخجلة ، وتسمو إلى مراتب الإيمان العالية ... فتهدى إلى جلال ربها ، وتدرك ما كانت عليه من زيغ وغفلة ، فتتذكر الموت وهوله ، والقبر وسؤاله ، والبعث وأهواله .. فتخشع وتخضع وترجع إلى طاعة ربها راضية مرضية ...

ما قيمة الأيام تتعاقب على استواء حالة واحدة ؟ ... بل كيف يصدم المرء إزاء الدهر وتقلباته ، وضرباته وجهاته — إن لم يتزود بذخيرة من الصبر والجلاد ؟ ...

ولقد قامت كتب الدين ، وخطب المصلحين ، تحض على التآلف والإخاء ، والتمسك بأهداب الشرائع السماوية المقدسة ، ولكن كل ما كان ويكون لهما من أثر لا يقاس بأثر الروع والتأديب الإلهي ، الذي تحس وقعهما في أعصابك وخلقك وأحشائك ... وسعار الجوع هو الذي يدع الخيال يصنع للمعدة معاني متجددة متعددة للطعام ... فلا تنفك تستثير — على التصور — آلاماً لذيذة ، ولذات أليمة ! ...

وليس يُطارب صوت الماء منحدراً
كما ترى وقعه في سمع ظمآن !

وترى الغني المترف المتنعم وقد ردعه الضمير ، وأدبه الدين .. فلديه ما لذ وطاب ولكنه يصبر ويصابر ، ويتذكر أنه يُسأل عن النعيم ...

ولا صيام للنائمين والمتنايمين ! فعن ابن مسعود ، قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجل ، فوقع فيه رجل من بعده ... فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تخلَّل » قال : مم أتخلل ؟ ما أكلت لحماً ... » قال : « إنك أكلت لحم أخيك ! » ...

(السويس) أحمد مصطفى حافظ
محرر بمجلة المدينة المنورة

اطلب كتاب
مبادئ في القضاء الشرعي
للأستاذ الزين القاضي

كتاب يفيد القاضي والمحامي والمفتي
اطلبه من دار الرسالة ومن المكاتب الشهيرة
وثمنه ٢٠ قرشاً عدا أجرة البريد